المساواة فى الاسلام

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإخاء الانسانى وجعل كمال الايمان أن يحب المرء لأخيه مايحب لنفسه فيكون كل منهما برآ رحيما بالثانى يعمل مايفيد المجموع ثم يتنفع هو فى ظل الكل — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مثال يحتذى فى ذلك فقد كان يأبى أن يظاهر بمظاهر السلطان أو الملك أو الرياسة وكان يقول (لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله) — وخرج على جماعة متوكئاً على عصا فقاموا له فقال (لاتقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا) وكان يجلس معهم حيث ينتهى به المجلس ويجيب دعوة الحر والعبد والغنى والفقير ويعود المرضى ولو كانت مساكنهم فى أقصى المدينة ويبدأ من لقيه بالسلام وبالمصافحة ويخفف صلاته إذا جلس إليه أحد فاذا فرغ منه عاد إلى صلاته ولم تكن رحمته بنى الانسان رحمة ضعف واستكانة وإنما كانت إخاء فى الله بين محمد والذين اتصلوا به جميعاً وكان العدل بجانب الاخاء قال تعالى (فَمَنِ اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ماعتدى عليكم) وقال (ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب) ويروى أن أسامة بن زيد جاءه شفيعاً فى رجل وجب عليه حد السرقة فغضب صلى الله عليه وسلم وقال (أتشفع فى حد من حدود الله؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)

سوى الاسلام بين الناس جميعاً ولم يجعل لأحد فضلا على غيره إلا بالتقوى والعمل الصالح (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ونهج أصحابه نهجه فقد خطب أبو بكر رضى الله عنه فقال «أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فقومونى أطيعونى مااطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم»

وخطب عمر فقال «من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقومه» فقام أعرابى فقال والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف، واقتص من ابن عمر وبن العاص لضربه ابن أحد المصريين

وقال « كيف تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهم أحرارا » وخير جبلة ابن الأيهم الذى لطم الاعرابى لأنه داس على إزاره فى الطواف بين استرضائه أو القصاص فاستمهله حتى يفكر ثم أخذته العزة بالاثم ففر إلى بلاده وعاد إلى دينه ثم ندم وقال

تنصرت الأشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى فيها لجاج وغصة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى ... رجعت إلى القول الذى قاله عمر

ومن هذا يعلم أن الدين القويم اجتث آية استبداد الكبراء والقادة وتوريثها ذراريهم من بعدهم وجعل التفاضل بالأعمال الصالحة وطهارة النفس وصفاء القلب لا بالمال وشرف المحتد وكرم الأسرة . ظهر هذا الدين والمرأة فى الجاهلية مساوية الحرية فى النفس والرأى والمال فقد كان الرجل يلقى ثوبه على زوج موروثه المتوفى ويقول ورثتها كما ورثت ماله فيكون أولى بها من نفسها إن شاء تزوجها بلا صداق أو زوجها وأخذ صداقها أو حرم عليها النكاح لغيرها إذا مانت فحرم ديننا القويم ذلك وقال (يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها) وكانت فى بعض القبائل كالنساع يعضلها الرجل ويمنعها الزواج حتى تفتدى بالمال فنهاهم الله بقوله (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) فجاءت الشريعة الاسلامية فنظمت شأنها قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقال صلى الله عليه وسلم (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لاتكلفوهم مالا يطيقون اتقوا الله فى النساء فانهن عوان بين أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله) وقال (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله) وقال (خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى)

وقد أعطاها الاسلام حرية الرأى حتى عمل رسول الله برأى السيدة خديجة وخلع ابن الزبير رأى أمه أسماء بنت أبى بكر وقال عمر « أصابت امرأة وأخطأ عمر » وفصم رسول الله عقد زواج خنساء بنت حزام الأنصارية لما زوجها أبوها وهى كارهة وأباح لهم طلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة وقد نبغ كثير من السيدات المسلمات كالسيدة فاطمة الزهراء فانها كانت خير مثال يحتذى فى النبل والفضل والعلم . وفى تدبير المنزل وتربية الأولاد وكالسيدة عائشة التى كان يرجع إليها كبار الصحابة فى حل المشاكل الدينية وكأم ربيعة ابن فروخ شيخ الامام الشافعى فان ابنها تلقى العلم والفقه عنها وكالسيدة سكينة بنت الحسين التى تفوقت فى العلم والأدب على فطاحل الرجال وكالسيدة رابعة العدوية التى كانت فى مقدمة

المربين والمرشدين إلى طاعة الله وقد أوجب الله على الرجل حسن معاملتها والرفق بها وترك كل مايحزنها وجعله آثماً إذا طلقها من غير سبب معقول وأباح لها أن تطالب الفرقة للضرر والأعسار والعيوب وغيرها ؛ وأوجب على الرجل نفقتها ونفقة أولادها منه وأباح لها التصرف فى أموالها بدون إذن بعلها وجعل لها مالالرجل من الحقوق وعليها ماعليه من الواجبات .

ومن المساواة فى الحرية أن رغب الدين الاسلامى فى إعتاق الأرقاء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من بدأ بذلك فقد أعتق زيد بن حارثة ونهج نهجه كثير من الصحابة حتى أن بعضهم كان يشترى العبيد والاماء ليحررها ويرفع رقها ابتغاء وجه الله تعالى وقد خصص الله منهماً من الزكاة يدفع فى سبيل الاعانة على فك الرقاب (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب) وشرع مكاتبة الأرقاء بأن يتفق المالك مع الرقيق على مال يؤديه الثانى لتفك رقبته (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذى آتاكم)وجعل الله تحرير الرقاب كفارة فى ذنوب كثيرة منها القتل خطأ والظهار والأيمان والفطر فى رمضان عمداً

ومع هذا فان الله أمرنا بحسن معاملة الرقيق قال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم) وقال صلى الله عليه وسلم (اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولاتكلفوهم من العمل مالا يطيقون فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملكهم إياكم ولو شاء لملكهم إياهم) ويروى أن علياً اشترى ثوبين أحدهما أغلى ثمناً من الثانى فأعطى خادمه أحسنهما وأخذ لنفسه الثانى فقال المملوك أنت يامولاى أحق بهذا الثوب منى فقال له أمير المؤمنين : كلا إنك شاب وأما أنا فقد هرمت وقد أمرنا بتربية الأرقاء وتعليمهم قال صلى الله عليه وسلم (أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران) .

ومن هذا يتجلى أن الاسلام دين حرية ومساواة بين بنى الانسان لافرق بين ذكر وأنثى ولا بين خادم ومخدوم ولا بين رفيع ووضيع وأنه لايعلو واحد عن الثانى إلا بالعمل الصالح الذى يقربه من الله و يسعد المجموع ما .